﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥﴾ [طه: 74 - 75]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

مَـرْجِـعُ النَّـاس إلى الله تعالى ليأخذ كلٌّ جزاءه

بعد أن بيّن في الآية السَّابقة أنّ ما عند الله هو خير وأبقى؛ فقد ناسب أن يذكر هنا حال الفريقين من المؤمنين والكافرين عند الله يوم القيامة؛ وذلك في صورة تقابليّة؛ بيّن فيها مجيء المؤمن والمجرم إلى لقاء الله وحسابه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُجۡرِمٗا﴾: جذر الكلمة هو (جرم)؛ والجُرْم: القطع، والذَّنب، وفِعله الإجرام، والمُجرمُ: المُذنب، والجارِمُ: الجاني[1]. "والمُجرِم: فاعل الجريمة؛ وهي المعصية والفعل الخبيث، والمجرم في اصطلاح القرآن: هو الكافر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩﴾ [المطففين: 29]"[2]، وهو المعنى المُراد في الآيةِ.

2) ﴿ٱلدَّرَجَٰتُ﴾: جذر الكلمة هو (درج)؛ والدُّرْج: سُفَيْط صغير تَدَّخر فيه المرأةُ طيبها وأداتها، ويُقال للمنزلة: دَرَجَةٌ إذا اعتُبِرَتْ بالصّعود دون الامتداد على البسيطة، كدرجة السّطح والسُّلَّم، ويعبّر بها عن المنزلة الرفيعة[3]، والمعنى المحوري: ضمٌّ أو احتواءٌ في مَضَمٍّ للنقل أو معه برفق، أي: شيئًا بعد شيء[4]، والمعنى المراد في الآية: المنازل.

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مجمل اللغة: (جرم).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 268.
(3) الأصفهانيّ، المفردات: (درج).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المُؤصَّل: (درج).

3) ﴿ٱلْعُلَىٰ﴾: أصل المادة (علو)، والعُلْوُ: ضدّ السُّفْل، وقد عَلا يَعْلو عُلوًّا وهو عالٍ، فـ(عَلا) بالفتح في الأمكنة والأجسام أكثر، ويُقال: عليَ في المكارم يَعْلَى عَلاءً، وعلا في المكان يعلو عُلوًّا[1]، وقيل: إنّ (عَلا) يُقال في المحمود والمذموم، والمعنى في الآية: الرفيع المنزلة.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بـيـان تـفـاوت أحـوال النَّـاس يوم القيامة

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ يصح أن يكون كلامًا مستأنفًا ساقه الله تعالى لبيان سوءِ عاقبة المجرمين، وحُسْنِ عاقبة المؤمنين، ويصح أن يكون من بقيَّة كلام السّحرة في ردهم على فرعون، والمعنى: (مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ يوم القيامة في حال كونه مُجْرِمًا)، أي: مرتكبًا لجريمة الكفر والشّرك بالله تعالى؛ فإنَّ لهذا المجرم جَهَنَّمَ يُعذَّب فيها عذابًا شديدًا؛ ومن مظاهر هذا العذاب؛ أنه ينتهي به إلى الموت ثمّ لا يجهز عليه فيستريح؛ بل يُعاد جِلدُه ويُجَدَّدُ عذابُه، فهو لا يحيا حياة هنيّة[2]، ثم بَيَّنَ سبحانه حُسن عاقبة المؤمنين أنّه: مَنْ يَأْتِه مُؤْمِنًا به إيمانًا حقًّا، وقَدْ عَمِلَ الأعمال الصَّالِحاتِ بجانب إيمانه، فأولئِكَ الموصوفون بتلك الصفات لَهم بسبب إيمانهم وعملهم الصالح الدَّرَجاتُ العُلى؛ وهي المنازل الرَّفيعة، والقرب من الله تعالى[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

فائدةُ الاعتراض في الآية:

الموعظة في كلام المؤمنين

الجُمل في هاتين الآيتين معترضة بين حكاية قصّة السّحرة، وبين ذكر قصّة خروج بني إسرائيل، ساقها الله موعظة وتأييدًا لمقالة المؤمنين من قوم فرعون، وقيل: هي من كلام أولئك المؤمنين،

(1) ابن فارس، مجمل اللغة: (علو)، والأصفهانيّ، المفردات: (علا).
(2) ابن عطيّة، المحرر الوجيز: 4/ 53.
(3) طنطاوي، الوسيط: 9/ 130.

ويُبْعِده أنّه لم يَحْكِ نظيرَه عنهم في نظائر هذه القصّة[1]، وفائدتها أنّها جاءت تأييدًا لموقف السَّحرة أمام طغيان فرعون، فهذا الموقف ذُكر في القرآن كأنموذج لمواقف الثّبات على الإيمان أمام طغيان الطّغاة وجبروتهم.

نكتةُ توالي المؤكّدات:

التأكيد لمن في صدره شكّ في صدق الرّسالة النّبويّة

دلَّ ورودُ (إنّ) و(تكرار الضّمير) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا﴾ على التّوكيد، وفائدة ذلك أنّ الخطاب هنا موجَّهٌ للشُّهود من النَّاس وآل فرعون، وإلى فرعون نفسه، أولئك الذين في صدورهم شكٌّ من صدق الرّسالة النّبويّة، وعند بعضهم إنكارٌ لما فعله السّحرة؛ فجيء بالمؤكِّدات لإثبات صدق الكلام.

نكتة استعمال ضمير الشّأن:

توجيه النّظر لِمآل من يأتي ربَّه مجرمًا تنبيهًا وتحذيرًا

الهاءُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا﴾ ضمير الشأن والقصة[2]؛ يعني أن الأمر والشأن كذا وكذا[3]، وكان بالإمكان أن يقول: (إنّ من يأتي ربّه)، فذكر ضمير الشّأن في موضع الإضمار، والهاء كناية عن الحديث[4]، وذكر الضّمير مع اشتمال الجملة على جهنم وهي مؤنثة؛ لأنّها في حكم الفضلة إذ المعنى: (من يأت ربَّه مجرمًا يُجزَ جهنم)[5]، وهكذا يتوجّه النّظر إلى ذلك الفرد الذي سيكون حتمًا أحدَ اثنين، فإمّا أن يأتي ربه مجرمًا، أو أن يأتيه مؤمنًا.

دلالة اسم الشّرط الجازم:

عدالةُ الله مطلقةٌ لا يُستثنى منها مجرمٌ

أداةُ الشّرطِ (مَنْ) تكون للعقلاء، قال سيبَوَيْه: "(مَنْ) وهي للمسألة عن الأناسيّ، ويكون بها الجزاء للأناسيِّ"[6]، وقد دلّ اسم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 268.
(2) أبو البقاء، التّبيان في إعراب القرآن: 2/ 898.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 77.
(4) النّحّاس، إعراب القرآن: 3/ 35.
(5) الزّركشيّ، البرهان: 4/ 29.
(6) سيبويه، الكتاب: 2/ 309.

الشّرط الجازم ﴿مَن﴾ على حتميّة أن يقع ما ورد في سياق الآية من الجزاء على المجرم، فمن يأت ربه مجرمًا كافرًا فمن المحتوم أن يحقّ عليه عذاب جهنّم، ويكون ذلك جزاءَ عمله وإجرامه في الدّنيا، وهي صادقةٌ على عمومِ المجرمين، فدلَّ ذلك على عدم استثناءِ مجرم من ذلك الوعيد، فأفاد العدالة المطلقة لله ربِّ العالمين.

بلاغةُ التَّعريض في إيرادِ عنوانِ الرّبوبية:

إنكار المجرم أفضال الله عليه

ذُكر عنوانُ الرُّبوبيَّة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا﴾؛ لبيانِ أنَّ مردَّ المجرم إلى الذي خلقه وسوَّاه ورزقه ورعاه، وهو الذي سيتولَّى أمرَه، بأن أوجده وجعل له جميع ما يصلحه، لكنّه أنكر وكفر وعاند وعصى وتجبَّر، فكان ذكرُ الرُّبوبيَّة ههنا فيه إيماءٌ إلى الوعيد، وإشارةٌ إلى التَّهديدِ بالتَّعريضِ لما كان من المجرمين في الدُّنيا من مزاحمة خصائص الرُّبوبيَّة التي هي لله وحده.

دلالةُ الإسناد المجازيِّ:

المجرمُ يأتي مرغمًا للحسابِ مضطرًّا للجزاءِ

أُسند الإتيان في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا﴾ إلى المجرمِ؛ مع أنّه سيُقاد إلى الله وإلى الآخرة مُرغمًا وقدرًا من الله تعالى، وذكر ذلك مجازًا لأنّه سيُؤتى به لا محالة، وستقوده أعضاؤه الرجلان والعينان وغيرها إلى ذلك اللقاء؛ فأُسند الإتيان إليه باعتبارِ الاضطرار، وهو وإن لم يكن راغبًا فيه إلَّا أنَّه سيُؤمر فيمتثل، ويمكن أن يكون ذلك على المجاز العقليّ، بعلاقة الحالية، فذكر حاله أنّه مضطرٌّ للمجيء غير مخيَّر فيه.

بلاغةُ الكناية:

لقاءُ الله تعالى ليس كأيِّ لقاءٍ ففيه شدَّةُ الوعيد وبالغُ التَّهديد

المجرمُ يأتي يومَ القيامةِ إلى موضع الحسابِ والجزاء، لكنَّ الآية جعلت ذلك الإتيان إلى الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا﴾، فجعل الله تعالى إتيانهم موضعَ الوعد إتيانًا إليه مجازًا كقول إبراهيم

ﷺ: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ [الصافات: 99][1]، وذلك لبيانِ المقصد، فأمَّا كلام إبراهيم ﷺ فمقصودُه تحقيقُ الرحمةِ والقبول والهداية، وأمَّا إتيان المجرم فالحساب والجزاء، فكان ذلك كناية عنهما، وسرُّ العدول عن التَّصريح بالجزاء إلى ذكر الله تعالى المبالغة في بيان معاني الوعيد والتَّهديد، فإنَّ أثرَ إتيانِ الرَّبِّ ليس كأثرِ إتيانِ موضع الحساب.

بلاغة المجاز المرسل:

استُخدمت لفظةُ ﴿مُجْرِمًا﴾ في سياق يوم القيامة، وهي وصف له في الزّمن الماضي، إذ المجرمُ هو مجرمٌ في الدُّنيا، وأمَّا الآخرة فلا موضع فيها للإجرام، وهذا محمولٌ على المجازِ المرسل باعتبار ما قد كان، وفائدته الإيحاء بأنّ صفة الإجرام تظل ملازمة له حتى يواجه العقاب على إجرامه يوم القيامة[2]، وهذا الاستصحابُ لونٌ من ألوان العذاب النَّفسيِّ؛ فإنَّ المجرم إذا ذُكِّر بإجرامِه في موضع العقابِ آلمه ذلك أشدَّ الألم؛ لعدم الفكاك عنه، ولما سيلاقيه بسببه.

استصحابُ وصفِ الإجرامِ عذابٌ نفسيٌّ والتزامٌ جزائيّ

معنى الفاء ودلالتها:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ رابطةٌ لجوابِ الشَّرط، دلّت على سرعة تحقُّق الجواب إن وقع الشّرط، فمن يأت ربه مجرمًا، فستقع عليه العقوبةُ السَّريعة، بأن تكون له نار جهنّم دائمة إلى ما شاء الله، حاله فيها أنّه لا يموت ولا يحيا.

سرعة إنزال العقوبة بالمجرم يوم القيامة

معنى اللامِ ودلالتها:

اللام في قولِه تعالى: ﴿لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ لامُ الاستحقاق؛ أي هو صائر إليها لا محالة؛ وهي قسمته في الآخرة ونصيبه ممَّا قسم الله للعباد يوم الحساب؛ فقد استحقّها جزاءً وفاقًا على ما قدّم من عمل،

صيرورة المجرم إلى جهنّم استحقاق له

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 79.

(2) عبد السلام الرَّاغب، وظيفة الصّورة الفنّيّة في القرآن، ص: 75.

ويكون عذابه متجدّدًا فيها؛ فلا هو ميت؛ لأنّه يُحِس بالعذاب، ولا هو حيّ؛ لأنّه في حالةٍ الموتُ أهون منها.

غرضُ تقديمِ شبه الجملة:

جـهـنَّـم مـأوى المجرمين ومهوى المتكبِّرين

قُدِّمت شبه الجملةِ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ على اسم ﴿جَهَنَّمَ﴾؛ لإفادةِ تخصيصه بهذا العقاب، وهو أن يَرِدَ جهنّم وتكون له حَظًّا ونصيبًا، جزاءً على ما أفرط في التّجاوز والإجرام، وفرّط في التزام حدود الله تعالى، والمراد بتخصيص جهنَّم له، أي في الخلودِ والاستحقاق، إذ دخول النَّار يكون لغير المجرمين من عصاةِ المؤمنين، لكن ليس على سبيل التَّخليد.

توجيه تخصيص نفي الموتِ بالذِّكر:

الـجـزاءُ من جنس العملِ والحسابُ من مرصوصِ الألم

خصَّ النَّظمُ نفيَ الموت في قوله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ بالذِّكرِ؛ لأنَّ هذا الحال مختصٌّ بالكافر المجرمِ، فإنّه معذّب عذابًا ينتهي به إلى الموت، ثم لا يُجهَزُ عليه فيستريح؛ بل يُعاد جلده ويجدّد عذابه، فهو لا يحيا حياة هنية، ولا يموت فيرتاح[1]، وخصَّ النَّظم هذا العذاب بالذّكر مع المجرمِ؛ لأنَّه كان في الدُّنيا يسعى خلفَ النَّاس ليُعذِّبهم بالفقر والجوعِ والأعمال الشَّاقة وقتل الرجال واستحياء النِّساء، فكان ذلك العذاب لأولئك المساكين أشبه ما يكون بمن يحيا وهو يتمنَّى الموت، فكان العذابُ من جنسِ العمل.

فنُّ الطِّباق:

المجرم فيه روحٌ لا تؤهله للحياةِ ولا تُـنـزع منه فيموت

أفادت واو العطف في قوله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ الجمع بين حالتين متقابلتين، وهو من أصعب وأعقد الأحوال، وهو حال لا يُمكن تخيّله؛ لأنّه أحد أحوال الآخرة، إذ جمع بين انتفاء الموت وانتفاء الحياة، فلا يُقدّم أحدهما على الآخر ولا يؤخّر، وهذا

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 66.

من الطِّباق التَّحسينيّ، فاجتماع نفي الموت ونفي الحياة صورةٌ لا يعرفها البشر، ومآلها شيءٌ واحدٌ، وهو وجودُ الرّوح في الجسدِ على هيئةٍ غير معهودةٍ غايتها نيل العذاب، ونزول العقاب.

توجيه المتشابه اللّفظي:

اختلاف الأوصاف من أعظم دواعي تغيير النَّظم الجليل

وردت عبارة الجزاءِ بلا عاطف في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾؛ لأنّها سُبقت بلام الاستحقاق فليس شيءٌ أعظمَ من ذلك، والجملة حال، أي له جهنَّم حال كونه لا يموت ولا يحيا، ففيها نفيٌ للأمل، أمَّا قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ۝١٣﴾ [الأعلى: 12 - 13]؛ فعطف عبارة الجزاء بحرف التَّراخي ثم؛ لأنَّ هذه الحالة أشدّ من صلي النَّار، فكأنّها بعده في الشّدّة[1]، فأخبرت الآية أنَّ الأشقى سيصلى النَّار الكبرى فيُعذَّب فيها، ثم بعد هذا العذاب يأتي عذابٌ أشد وهو أنَّه لا يموت فيها ولا يحيا، فاختلف النَّظم في الآيتين.

دلالة المُضارع في ﴿يَمُوتُ﴾ و﴿يَحۡيَىٰ﴾:

المجرمون عذَّبوا النَّاسَ بألوانِ العذابِ فيُعذَّبون بمثلِها جزاءً وفاقًا

دلّ المضارع في قوله: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ على التّجدّد والاستمرار؛ فإنّ هذا المُعذَّب في حالة طلبٍ للحياة، أو حالة طلب للموت، لكنّه لا يُعطى هذه ولا هذه، فيبقى في حالة لا تُعرف ولا توصف، وهذا من أشدِّ أنواعِ العذابِ في الآخرة، فإنَّ المجرمين في الدُّنيا يتوعدون النَّاس بألوانٍ من العذاب التي يتمنَّون معها الموت فلا يجدونه، تلذُّذًا بذلك، وطلبًا لإشباع إجرامِهم، فكان هذا الجزاء مماثلًا لصنيعِهم في الدُّنيا.

نكتةُ تأخيرِ ذكر المؤمنين:

السّياقُ في شأنِ فرعون فناسب البَدْء بالمجرمين

العطف بالواو بين الحالين لبيان التَّقابل بينهما، وبدأ بذكر المجرمين؛ لأنَّ سياقَ الآيةِ جاء بعد ذكر إجرام فرعون وحاشيته ومن دار في دائرته،

(1) ابن جزي، التّسهيل: 2/ 475.

وفيها دلالة على جمع النَّاس كلّهم يوم القيامة مؤمنهم وكافرهم، فيُجزى كُلٌّ بما عمل، فلا تنفع الشّفاعة يومئذٍ إلا من أذن له اللّه تعالى.

بلاغةُ المجازِ في لفظ ﴿مُؤْمِنًا﴾:

الإيمانُ وصفٌ يُصاحبُ المؤمنين في القيامة فيُدخلهم الجنَّة

دلَّ وصف الإيمان في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا﴾ على الحال التي يأتي عليها أهل الإيمان، وهو مجازٌ مرسلٌ باعتبارِ ما كان من أعمال الإيمانِ، فإنَّ الآخرة دار جزاء لا دار عمل، فهي حالٌ سابقةٌ تستصحب صاحبها لنيل جزائه في الآخرة، وللإيمانِ آثارٌ في الآخرةِ، كما قال ﷺ: "إن أمتي يُدْعَوْنَ يوم القيامة غرًّا محجَّلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يُطيل غرَّته فليفعل"[1]، وهذه واحدة من أوسمة المؤمن يوم القيامة.

دلالة حرف التحقيق:

إذا تحققت الأعمال الصَّالحة استُحقَّت الدَّرجات العالية

أفاد افتتاح الجملة بحرف التّحقيق في قولِه تعالى: ﴿قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الاهتمامَ، وتحقيقَ وقوع تلك الأعمال الصَّالحات من قبل المؤمن؛ ليتحقق اتِّصاف المؤمن بعمل الصَّالحات ويلتزم بتلك الأعمال، فاستحقَّ بذلك الدَّرجات العالية من الجنّة.

بلاغة المجاز المرسل:

الصَّالحات هي واجبات الأعمال الرَّافعة للملامةِ

لا يُراد من لفظ الصَّالحات في قوله تعالى: ﴿قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ استغراقُ جميع الصَّالحات المتصوَّرة، من الفرائض والنوافل والطَّاعات، إذ قد يأتي المؤمن بما عليه من الواجبات وبعض النوافل فيدخل في الوعد، وظاهر اللَّفظ: يقتضي أن يكون آتيًا بكلِّ الصَّالحات، وذلك بالاتِّفاق غير معتبر، ولا ممكن، فينبغي أن يحمل ذلك على أداء الواجبات[2]، فالصَّالحات هنا بمعنى الواجبات؛ فهذا مجاز مرسلٌ علاقته الكلّيّة.

(1) أخرجه البخاري، واللفظ له، حديث رقم: (136)، ومسلم، حديث رقم: (246).
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 79.

نكتةُ استعمال اسم الإشارة:

استحقاق المؤمنين للدَّرجات العليا من الجنّة

الإتيان باسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ للتنبيه على أنهم أحرياء بما يذكر بعد اسم الإشارة من أجل ما سبق اسمَ الإشارة[1]، وأفاد كذلك التّعميم، فإنّ كل من اتّصف بهذه الصّفات فإنّ له الدّرجات العلى من الجنّة، فللجنّة درجات، ولكلّ درجة من يستحقّها من أهل الإيمان والأعمال الصَّالحة.

بلاغة الالتفات من المفرد إلى الجمع:

لا يكتملُ نعيم الجنَّة إلَّا بالتحاقِ المؤمن بأهله المؤمنين

انتقل الخطاب من ذكر المفرد في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا﴾ إلى الجمع في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾؛ لتعميم الجزاء على جميع المؤمنين العاملين، المتّصفين بصفات الصّلاح، وفيه إشارةٌ إلى قولِه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطّور: 21]، فأدّى الالتفات من المفرد إلى الجمع بيان معنى هذه الآية الكريمة؛ أي دلّ على إلحاق المؤمن بأهله؛ أمه وأبيه، وإخوته، من الذين استحقّوا تلك الدّرجات من الجنّة، فيعيشون فيها عيشة راضية، ولا يهنأ الإنسانُ إلَّا مع أقاربِه وأهل بيته.

دلالةُ لام الاستحقاق:

اللام في قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ لام الاستحقاق؛ لأنّ الدّرجات العلى هي ليست ملكًا لبشر لكنّها استحقاق للمؤمنين لما قدّموا في الحياة الدّنيا وعملوا الصَّالحات.

بلاغةُ الكناية:

القربُ من الله تعالى أعلى جزاء يسعد به المؤمنون

التَّعبير بالدَّرجات العلا في قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ كنايةٌ عن القرب من الله تعالى، ويمكن أن تكون درجات الجنَّات حقيقة؛ فيكون تفسيرها قوله بعدها: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 269.

ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾، وفي الآية تنبيه على حصول العفو لأصحاب الكبائر؛ لأنّه تعالى جعل الدّرجات العُلا من الجنّة لمن أتى ربّه بالإيمان والأعمال الصَّالحة، فسائر الدّرجات التي هي غير عالية لا بدّ وأن تكون لغيرهم، وما هم إلا العصاة من أهل الإيمان[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإجرامُ والمعصية:

الجرم: الذنب، والجمع: أجرام، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٤٠﴾ [الأعراف: 40]؛ قال الزّجّاج: المجرمون ههنا، الكافرون؛ لأنّ الذي ذكر من قصتهم التّكذيب بآيات الله والاستكبار عنها[2]، وكلُّ مجرم في القُرآن فالمُراد به الكافر[3]، والمعصية ما يقع من فاعله على وجه قد نهي عنه أو كره منه[4].

الـجـرمُ ذنـب، والمعصية ما يقع مـن فاعله على وجـه قـد نُـهـيَ عَنه

جَهَنَّم والسّعير والجحيم والحريق:

جهنم: سميت نار الآخرة بها لبُعد قعرها، والسّعير هو النَّار الملتهبة الحرَّاقة تسمى حريقًا في حال إحراقها، والحريق النَّار الملتهبة شيئًا وإهلاكها له، ولهذا يقال وقع الحريق في موضع كذا، ولا يُقال وقع السّعير؛ فلا يقتضي قولك: السّعير ما يقتضيه الحريق، ولهذا يقال فلان مِسْعَرُ حَرْبٍ كأنّه يشعلها ويلهبها، ولا يقال: مُحْرِق، والجحيم نارٌ على نارٍ وجَمرٌ على جمرٍ[5].

جـهـنَّـم الاسـم العلم، والسَّعير لـــحـــرِّهـــا، والـجـحـيـم لتراكمِ نيرانها، والـــحـــريـــق لالتهابها

الدَّرَجاتُ والدَّركات:

(درك) الدَّال والرَّاء والكاف أصل واحد، وهو لحوق الشّيء بالشّيء ووصوله إليه، يقال أدركت الشّيء أدركه إدراكًا، وتدارك

اخـــتـــصـــاصُ الدَّرجات بالجنَّة والدركات بالنَّار

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 79.
(2) ابن سِيدهْ، المُحكم: 7/ 414.
(3) الكفويّ، الكُلّيّات، ص: 802.
(4) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 503.
(5) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 278.

القوم: لحق آخرُهم أولَهم، فأمَّا قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّارَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [النمل: 66]، فهو من هذا؛ لأنَّ علمهم أدركهم في الآخرة حين لم ينفعهم، ومن ذلك الدَّرْك، وهي منازل أهل النار، وذلك أنَّ الجنَّة درجات، والنَّار دركات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: 145]، وهي منازلهم التي يدركونها ويلحقون بها[1].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: 2/ 269.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»